التأليف في الفقه وأصوله عند علماء تلمسان.
الشريف التلمساني نموذجا

Authorship in jurisprudence and its origins in the scholars of Tlemcen .Sherif Tlemceni as a model

الدكتور غريش صادق
جامعة أحمد بن بلة وهران 1- الجزائر
البريد الالكتروني: ghrichesadek@gmail.com

الملخص :

يحاول الباحث من خلال هذه المداخلة أن يكشف عن إسهام أحد كبار علماء مدينة تلمسان في تطوير الدرس الفقهي والأصولي تأليفا وتصنيفا ألا وهو الشريف التلمساني ، ويسلط الضوء على كتابه المفتاح مستشفا عوامل نبوغه ، وتميزه ، محاولا بيان ملامح التجديد ومبلغ التأثير عند هذا العالم الكبير.

الكلمات المفتاحية : الدرس – الشريف- الاجتهاد – الأصول ، التجديد .

Abstract :

In this article the researcher tries to highlight the contributions of the jurisprudential and fundamentalist scholars of Telmcen through the book (The key to Access) by ABDULLAH Al-Sharif Al-Telmceni ,which is considered once again in view of the influence he has ceated, which made the following came reconsidering the books scheduled for the lesson of the fundamentalist .

Keywords: Lesson - Al-Sharif - Ijtihad - Assets, Renewal.

المقدمة :

الحمد لله وكفى وسلام على كل عبد مجتبى .

تعتبر تلمسان من الحواضر العلمية الكبرى التي عرفت حركة علمية متميزة قديما وحديثا ، وأنتجت نخبة من العلماء تركوا بصماتهم في مسيرة العلم ، ولعل من أهم البيوتات التلمسانية التي تركت أثرا وإضافة ملحوظة في مسار التأليف الفقهي الأصولي **بيت الشريف.**

ويعتبر العلامة شريف العلماء أبو عبد الله محمد الشريف في مقدمة العلماء الأجلاء الذي أنجبهم **بيت الشريف** من حيث أنه خدم التأليف الأصولي والفقهي خدمة جليلة[1] .

ولقد كان كتابه النفيس الموسوم بـ" مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول " - الذي لا يحسن أن تخلو منه مكتبات الدارسين و الباحثين - ، نسيج وحده في التأليف الأصولي واستثناء في مسيرة التصنيف العلمي ، مما جعل أعناق الطلاب من كل حدب تشرئب إليه ، وأفئدة العلماء من كل صوب تهوي إليه ، لمـــّا رأوا فيه خدمة جليلة للمذهب المالكي فآثروه على ماسواه من التصانيف التي كانوا يكبّون عليها من قبلُ دراسة وتدريسا .

فإلى أي مدى ساهم الشريف التلمساني في تطوير الدرس الأصولي من خلال كتابه الموسوم بـ" مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول " ؟ وماهي الاستعدادات التي حبى الله هذا العلم الجليل حتى سمت همته إلى هذا الصنيع ؟ وماهي العلوم التي نهل منها حتى اشتدّ عوده فأتى بالعجيب في التأليف ؟

1- **استعداد أبي عبد الله الشريف التلمساني :** إنّ كتاب " مفتاح الوصول " لأبي عبد الله الشريف ليهدينا إلى اكتشاف عالم من طينة الكبار ،

[1]- "بيوتات العلم بتلمسان من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجري" ، نصر الدين بن داود ، ، جامعة أبو بكر بلقايد -تلمسان ، 2009-210، ص : 113-118

سمت به همته إلى التميز في التأليف ، وحملت شخصيتة الفذّة العلماء على أن يلهجوا بالثناء عليه، عرفوا له حقه وأقروا بتصدره ، وأدناه الشيوخ من مجالسهم ، وفيما يلي بعض هذه الشهادات :

- **ومن هؤلاء يحي ابن خلدون الذي ترجم له بالقول : "** شيخنا الفقيه العالم الأعرف أبو عبد الله محمد ابن أحمد الشريف الحسني أحد رجال الكمال علما ودينا ، لا يعزب عن علمه فن عقلي إلا وقد أحاط به ، ... وبلغ الغاية القصوى من الإدراك والتبحر ، وفصاحة اللسان ، واحد عصره رحمة الله عليه"[2] .
- **ومنهم أيضا شيخه الآبلي** الذي امتلأ به إعجابا فقال : " قرأ علي كثير شرقا وغربا ، فما رأيت أنجب من أربعة أعقلهم وأكثرهم تحصيلا هو أبو عبد الله الشريف "[3] ، وليس هذا فحسب ، بل إن شيخه الآبلي في العلوم العقلية كان إذا عرضت لطلابه معضلة قال : " انتظروا الشريف"[4]
- **ومنهم أيضا شيخه ابن عبد السلام في تونس** الذي حظي بقربه لما أنس فيه من نجابة وألمعية فقال : " لا أظن أن في المغرب مثل هذا "[5]

---

[2]- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، الشيخ يحي بن أبي بكر بن خلدون ، مطبعة بيرفونطانا الشرفية في الجزائر، 1903 م ، مج 1 ، ص57

[3]- - نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي ، ت: عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار الكاتب ، طرابلس ، ط: 2 ، 2000م ، ص 435

[4]- المصدر نفسه ، ص :435

[5]- المصدر نفسه ، ص : 435

- **وأمّا القاضي أبو علي بن هدية** فإنه رأى همّة أبي عبد الله الشريف قد سمت به إلى العلى بلا حدّ فقال : " كل فقيه قرأ في زماننا هذا ، أخذ ما قدر له من العلم ووفق ، إلا أباعبد الله الشريف فإن اجتهاده يزيد والله أعلم حيث ينتهي أمره "[6]

- **ومما يدل على استعداد أبي عبد الله وعلوّ قدره** تهيب العلماء الحديث بين يديه وتقديمهم له، حيث نقل التنبكتي عن الفقيه المطغري أنه قال : " أمر أبو عنان الفقيه المقرئ بإقراء التفسير بحضرة العلماء فأبى وقال : أبو عبد الله الشريف أحق به مني ، فقال السلطان : أنت تعلم علوم التفسير ، فقال : الشريف أعلم بها مني فلا يسعني الإقراء بحضرته ، فعجبوا من إنصافه ، ففسر الشريف بحضرة كافة العلماء ونزل السلطان عن سرير الملك وجلس معهم على الحصير ،فأتى بما أدهشهم حتى قال السلطان لما فرغ ، إني أرى العلم يخرج من منابت شعره"[7]

- **وهذا تلميذه ابن خلدون : حيث يصفه في سياق استعراضه لمشايخه الذين درسوه فيقول :** " ومنهم صاحبنا الإمام العالم الفذّ ، فارس المنقول والمعقول ، وصاحب الفروع والأصول ، أبو عبد الله محمد ابن أحمد الشريف الحسني "[8] ، **ثم يُردف واصفا :** "ولقي شيخنا القاضي أبا عبد الله بن عبد السلام ، وحضر مجلسه وأفاد منه ، واستعظم رتبته في العلم ، وكان بن عبد السلام يصغي إليه ويؤثر محله ، ويعرف حقه حتى لزعموا أنه كان

---

[6]- المصدر نفسه ، ص : 436

[7]- نيل الابتهاج ، مصدر سابق ، ص : 436

[8]- التعريف بان خلدون رحلته غربا وشرقا ، عبد الرحمان بن خلدون ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، 1979م ، ص 64

يخلو به في بيته ، فيقرأ عليه فصل التصوف من كتاب الإشارات لابن سينا"[9]

2- **تمكنه من العلوم العقلية :** لقد كان لاستفادة الشريف التلمساني من العلوم العقلية أثره في تطور الدرس الأصولي عنده ، وعلى حسن تصميمه وترتيبه لمباحثه ، ولذلك كان من اللافت الوقوف على تمكن التلمساني من العلوم العقلية من خلال التجليات الآتية :

أ- **وفور عقله** : حيث " شهد له شيوخه كلهم بوفور العقل وحضور الذهن وكان مائلا للنظر والحجة أصوليا متكلما جامعا للعلوم العقلية القديمة والحديثة "[10] ، وهذا الذي يُستفاد من تراجم سيرته التي تطابق على نقلها الرواة .

ب- **تلقيه على الآبلي : فابن خلدون يصفه في سياق استعراضه لمشايخه الذين درسوه فيقول :** " ثم لازم شيخنا أبا عبد الله الآبلي وتضلّع من معارفه فاستبحر ، وتفجّرت ينابيع العلوم من مداركه "[11] .

ت- **تلقيه العلم على ابن عبد السلام : يضيف ابن خلدون** "ثم ارتحل إلى تونس في بعض مذاهبه سنة أربعين ، ولقي شيخنا القاضي أبا عبد الله بن عبد السلام ، وحضر مجلسه وأفاد منه "[12]

وكان شيخه ابن عبد السلام هذا يدنيه من مجلسه ويخصه دون غيره من طلابه بجلسات علمية : " فيقرأ عليه فصل التصوف من كتاب الإشارات

---

[9]- المصدر نفسه ،ص65

[10]- نيل الابتهاج ، مصدر سابق ، ص 433

[11]- التعريف بان خلدون رحلته غربا وشرقا ، عبد الرحمان بن خلدون ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، 1979م ، ص 64

[12]- المصدر نفسه ، ص65

لابن سينا بما كان هو كان هو قد أحكم ذلك الكتاب على شيخنا الآبلي ، وقرأ عليه كثيرا من كتاب الشفاء لابن سينا ومن تلاخيص كتب أرصطو لابن رشد ومن الحساب والهيئة والفرائض "[13]

فلا شك أن إفادة الشريف من العلوم العقلية ساهم في تكوينه الأصولي وتميزه في التصنيف ، ودقة منهجه في التأليف ، فتمكن الشريف من الأصول وتميزه بتلك المنهجية الاستثنائية راجع –حسب بعض الباحثين - إلى " تلقيه علم أصول الفقه عن مشايخ برزوا فيه كأبي زيد عبد الرحمن ابن الإمام وأبي موسى عيسى ابن الإمام وأبي عبد الله الآبلي وابن عبد السلام التونسي وأبي موسى عمران المشدالي ، فقد أشير في تراجمهم إلى تمكنهم من علم الأصول أو العلوم العقلية التي كان يعد منها علم الأصول، وإلى تفننهم في الجدل وهو من فروع علم الأصول، وأمكن هؤلاء أبو زيد وأبو موسى؛ وقد قال فيهما المقري: كانا يذهبان إلى الاجتهاد ويتركان التقليد"[14]

3- **بلوغه رتبة الاجتهاد في المذهب :** إن الدارس لكتاب المفتاح ، والمتتبع لسيرة الشريف ليشعر أنه بإزاء رجل استوفى شروط الاجتهاد ، فلا يستبد به العجب ، ولا يذهب عقله المذاهب في إدراك سر ذلك التميز في التصنيف :

- حيث نقل صاحب نيل الابتهاج عن السراج قوله : " بلغ رتبة الاجتهاد أو كاد ، بل هو أحد العلماء الراسخين وآخر الأئمة المجتهدين"[15]
- وأعقب التنبكتي بالقول : " وممن صرح ببلوغه رتبة الاجتهاد ...الإمام الخطيب ابن مرزوق الجد في رسالته التي رد فيها على أبي القاسم الغبريني وأثنى عليه كثيرا "[16]

---

[13]- التعريف بان خلدون رحلته غربا وشرقا ، مصدر سابق ، ص : 64-65

[14]- ملتقى أهل الحديث ، https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=242537

[15]- نيل الابتهاج ، مصدر سابق ص : 431

[16]- نيل الابتهاج ، مصدر سابق ، ص: 431

وهكذا يستفيد المطالع لسيرة هذا العَلَم التلمساني أنه تبوّأ المكانة الرفيعة بين علماء عصره ، فسلّموا له بالسبق ، قال التنبكتي " انتهت إليه إمامة المالكية بالمغرب وضُربت إليه آباط الإبل شرقا وغربا ، فهو علَم علمائها ورافع لوائها "[17]

4- **نفاسة التأليف وندرته** :إن الإجادة لا تكون إلا مع الإقلال ، وإن التحقيق لا يكون إلا مع الندرة ، وهذا شأن الشريف مع المفتاح ، تميّز وأبدع ، وقرأ كثيرا ليكتب قليلا ، وسمع طويلا ، واستغرق الوقت في إجالة العقل وإعمال الفكر ، وعصر فكره ، وأشهر قلمه ثم أمسكه ، فكانت هذه الدرة النفيسة .

نعم لم يصلنا من تآليف أبي عبد الله الشريف التلمساني الأصولية سوى هذه الدرة النفيسة التي سارت بذكرها الركبان ، وتسابق العلماء والطلبة على اقتنائها ومدراستها وهي تلك الموسومة بـ" مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول" ، فماسر تلك الندرة في التصنيف ، وماهي عوامل الإقلال من التأليف ؟

العامل الأول : غلبة ندرة التأليف على علماء المغرب عموما ، فالشاطبي على غزارة علمه وجودة معارفه ، أهدى المكتبة الإسلامية كتابين نفيسين هما : "الموافقات " و" الاعتصام"، حتى قال فيه الشيخ رشيد رضا : " العلماء المستقلون في هذه الأمة ثلة من الأولين وقليل من الآخرين والإمام الشاطبي من هؤلاء القليل ، رأينا كتاب "الموافقات" من قبل ورأينا كتاب "الاعتصام" اليوم ، فأنشدنا قول الشاعر :

قليل منك يكفيني ولكن ***قليلك لا يقال له قليل ."[18]

---

[17]- المصدر نفسه ، ص 432-433

[18]- مقدمة كتاب الاعتصام ، الإمام الشاطبي ، ت: أحمد عبد الشافي ، دار شريفة ، ص3

العامل الثاني : انصراف أبي عبد الله إلى التدريس وتكوين العلماء ،يصفه التنبكتي في نيل الابتهاج بقوله " وكان قليل التأليف ، أكثر اعتنائه بالإقراء "[19] ، وهذا ما يؤكده أحد الباحثين في سياق تعداده لأسباب انصراف التلمساني عن التصنيف وزهده فيه : " والثاني تفرغه التام للتدريس والإقراء، الذي كان من ثماره أن تخرج عليه فحول العلماء في ذلك الزمان؛ كالشاطبي وعبد الرحمن بن خلدون وأخيه يحيى وابن قنفذ القسنطيني ولسان الدين ابن الخطيب وأبي سعيد بن لب وابن السكاك وابن زمرك الوزير، إضافة إلى ولديه عبد الله وعبد الرحمن وغيرهم"[20].

وهذا شبيه بما أُثر عن الشيخ عبد الحميد بن باديس من قوله حينما سئل عن سبب انصرافه عن التصنيف : " شغلنا تأليف الرجال عن تأليف الكتب "[21]

العامل الثالث : مزاحمة الأشغال ، فوقته بين إقراء ومطالعة وعبادة ، لا يفتر ولا يركن إلى راحة ، وربما كان من أكبر الصوارف عن التصنيف الذي يتطلب الهدوء والروية ، ينقل لنا رواة سيرته أنّ : "نهاره كله بين إقراء ومطالعة وتلاوة ، يقسم الوقت على الطلبة ، ينام ثلث الليل ، وينظر ثلثه ويصلي ثلثه ، يقرأ في كل ليلة ثمانية أحزاب في صلاته ، ومثله في أول النهار ، ويواظب قراءة الحزب دائما ، ويقرأ من التفسير نحو ربع حزب كل يوم مع البحث ، وإذا طال بحث الطلبة أمرهم بالتقييد في المسألة ثم يفصل بينهم [22] ، وذكر ولده عبد الله أنّ والده " بقي بعض الأزمنة ستة أشهر مشتغلا بالعلم

---

[19]- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، مصدر سابق ، ص 437

[20]- https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=242537

[21]- https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=242537

[22]- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، مصدر سابق ،ص 438.

لم ير فيها أولاده ، لأنه يقوم صباحا وهم نائمون ويأتي ليلا وهم نائمون "[23] ، وقد لازمه بعض من جمعته به الأيام أربعة أشهر كاملة " فلم يره نزع ثوبه ولا عمامته ، فإذا غلبه النوم نام نوما خفيفا ، فإذا أفاق يرجع إليه أصلا ، فيقول أخذت النفس حقها فيتوضأ ، والوضوء من أخف الأشياء إليه ، ثم رجع للنظر "[24]

العامل الرابع : التحقيق يأبى الإكثار من التصنيف ، فالجودة مع الإقلال ، والنفاسة مع الندرة ، وكذلك كان أبا عبد الله الشريف التلمساني ، يؤثر أن يسمع كثيرا في مقابل أن يتحدث قليلا ، وأن يقرأ كثيرا في مقابل أن يكتب قليلا روى عنه كتّاب السيرة أنه : "

يطالع كتبا كثيرة ، حدثني بعضهم أنه وجد بين يديه سبعين كتابا "[25] .ولعل ماعُرف به الشريف من هذا السمت المتفرد المتمثل في رجاحة العقل والهدوء والتحقيق هوما جعل محل ثقة العلماء ، يُلقون إليه بتصانيفهم وعصارات عقولهم يقرضها ويصدرها بقلمه ، وكان علماء الأندلس أعرف بقدره وأكثرهم تعظيما له : " حتى أن العالم الشهير لسان الدين ابن الخطيب صاحب الأنباء العجيبة ، والتآليف البديعة إذا ألّف تأليفا بعثه إليه وعرضه عليه وطلب منه أن يكتب عليه بخطه"[26]

العامل الخامس : تأثره بنصيحة شيخه الآبلي من أن كثرة التأليف صارفة عن التعليم ، يقول أحد الباحثين : " ومؤلفات الشيخ رحمه الله تعالى مع قلتها فهي فريدة في بابها مثلها مثل مؤلفات تلميذه أبي إسحاق الشاطبي،

---

[23]- المصدر نفسه ، ص 439

[24]- نيل الابتهاج ، مصدر سابق ، ص: 433

[25]- المصدر نفسه ، ص :438

[26]- المصدر نفسه ، ص :438

وقلَّة تأليفه مرجعها إلى أمرين اثنين، أحدهما ما كان يبثه شيخه الآبلي من أن كثرة التآليف في الفنون عائقة عن التعليم[27]

5- **قيمة "المفتاح"** : يمثل كتاب " مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول " بحق قيمة علمية كبيرة -على صغر حجمه- ، فذهب كثير من الباحثين إلأى أن التلمساني : " تجاوز القصور الذي آل إليه العلماء في عصره من حيث عكفوا على شرح الكتب واختصارها أو عدم تجاوز الكتب المقررة في التدريس إلى غيرها ، أمّا هو فقد سمت همته إلى وضع كتاب متميز في فنه فخرج عن معهود التآليف عند المتأخرين إلى التأليف المبتكر الذي لا يتعلق بكتاب سابق، فوضع لنا هذا الكتاب الذي لم يؤلف قبله ولا بعده مثله من حيث المقصد والشكل والمضمون، فكان مفخرة من مفاخر المالكية وأهل المغرب"[28].

- **يقول الباحث عثمان بن محمد الأخضر** : "يعتبر كتاب مفتاح الوصول لأبي عبد الله التلمساني من أنفس الكتب وأهمها فيما ألف في هذا الفن ، ومع صغر حجمه إلا أن مؤلفه وفق في عرضه لهذا الموضوع من حيث الاقتصار على القواعد الأصولية ، ومن حيث التطبيق على أكثرها ، ومن حيث بيان أثر الاختلاف فيها في اختلاف الفقهاء "[29]
- **ويقول يعقوب الباحسين** : " والكتاب على صغر حجمه يحتوي على فوائد جمة ويعطي تصورا جيدا لكثير من مسائل الأصول "[30]

---

[27]- ملتقى أهل الحديث https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=242537-

[28]- https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=242537

[29]- تخريج الفروع على الأصول دراسة تاريخية ومنهجية وتطبيقية ، عثمان بن محمد الأخضر شوشان ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ، ط:1 1998م ، مج1، ص 307

[30]- التخريج عند الفقهاء والأصوليين- دراسة نظرية تطبيقية تأصيلية ، يعقوب الباحسين ، مكتبة الرشد الرياض ، ص148

- ويضيف أحد الباحثين : " ومن دلائل تفوق هذا الإمام وخروجه عن المعهود في بلاد المغرب في ميدان الفقه وأصوله : ذلك التأليف الذي قل له نظير في علم أصول الفقه ذي الطريقة المبتكرة والمنهجية الفريدة والمسمى "بمفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول"، وما ضمنه من ترجيحات أصولية واختيارات فقهية"[31].

6- **البيئة الفقهية والأصولية قبل "المفتاح" :** لعل ما دعا الشريف التلمساني إلى تأليف كتابه المفتاح ما لاحظه من جمود على مستوى الدرس الفقهي والأصولي:

أ- **فعلى مستوى الدرس الفقهي** : ميز الدرس الفقهي في البيئة التي عاش فيها التلمساني إكبابٌ على المختصرات الفقهية التى تُحفظ فيها أقوال الأئمة ، ويُتغافل فيها عن ربط الفروع الفقهية بأدلتها ، وهذا ما يؤكده أحد الباحثين بقوله : " : " الظاهر أن الشريف التلمساني لاحظ غلوّ المالكية في مختصر خليل وتقيدهم به كليا "[32] . ويرجع السبب في اقتصار المالكية في نظره على المختصرات الفقهية إلى رغبة بعض حكام الدولة المرينية ، مخالفين بذلك المنهج الذي درج عليه الموحدون والمتمثل في ربط الفروع بأصولها ونبذ التقيد المطلق بالمذهب المالكي تعصبا[33] .

ب- **وعلى مستوى الدرس الأصولي** : كان اشتغال مالكية المغرب قبل ظهور التلمساني بكتب أصولية لبعض الشافعية ك"المستصفى" للغزالي

---

[31]- https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=242537

[32]- دراسة تحليلية مفصلة لتخريج الفروع على الأصول عند الأصوليين والفقها ، جبريل بن المهدي علي ميغا ،جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1422هـ .ج2، ص:466

[33]- المرجع نفسه ،ج2، ص: 466-467

و"المعالم" للرازي ، و"جمع الجوامع" للسبكي ، رغم مخالفتها لأصول مالك وعزفوا في المقابل عما صنف الوليد الباجي الذي وضع "إحكام الفصول في أحكام الأصول" ، وصنف كتابا آخر مختصرا وسمه ب "الإشارة في معرفة الأصول " ، و عما صنف ابن العربي ابتداء من " المحصول في علم الأصول " وانتهاء بـ" نكت المحصول " ، رغم مالهذين الكتابين من قيمة علمية ومن أهمية في بيان الأصول التي بنى عليها الإمام مالك مذهبه [34].

ولعل من أهم الكتب التي استحوذت على مجالس الدرس عند المالكية في عصر الانحطاط كتاب " مختصر ابن الحاجب " ، نظرا لاختصاره وكون مؤلفه من المالكية وإن كانت مباحثه لا تمت بصلة لأصول مذهب مالك .

انتشر هذا الكتاب قريبا من عهد التلمساني حتى أن شيخه الآبلي كان يدرسه ببجاية ، وحتى أن التلمساني نفسه كان يدرسه [35].

7- **غاية الشريف من المفتاح :** لم تكن لأبي عبد الله الشريف التلمساني من غاية يرجوها من وراء تأليف كتابه ، بعد ما رأى من اقتصار المالكية في عصره على المختصرات الفقهية ، واكتفائهم بالفروع المنتزعة من أدلتها ، سوى أن يضمنها دعوة صريحة إلى الاجتهاد من خلال التطبيقات الفقهية التي عرضها مبنية على القواعد الأصولية ، فهذا في نظر أبي عبد الله هو المنهج العلمي الصحيح الذي يجعل السائرين على بصيرة يتبعون الحق عن دليل ، ينبذون التقليد والتعصب المذهبي ، منفتحين على المذاهب الفقهية المشهورة لأن الحق ليس في واحد منها [36].

---

[34] - ملتقى أهل الحديث https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=242537

[35] - ملتقى أهل الحديث https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=242537

[36] - - دراسة تحليلية مفصلة لتخريج الفروع على الأصول عند الأصوليين والفقهاء، مرجع سابق ،ج2، ص: 463

ولـمّا كان علم تخريج الفروع على الأصول من أهم العلوم التي يتوسل بها تحصيل الدربة على تحصيل الملكة الاجتهادية هرع إليه أبوعبد الله[37]

8- **ملامح التجديد في التأليف عند التلمساني**[38]: ذهب بعض الباحثين إلى اعتبار التلمساني مجددا في التأليف الأصولي ، متميزا في التصنيف مقارنة بالمصنفات الأصولية المقررة للتدريس في عهده ، مبرزا ملامح التجديد في الآتي :

أ- **التمثيل للقواعد الأصولية** ، وهذا الذي ميّز الكتاب وزاد من انتشاره ورفع من قدره بين العلماء والطلاب ، مقارنة بالكتب المنتشرة في عهده والتي غلب عليها التنظير والتجريد ، حيث لا يجد المتصفّح لها مثالا فروعيا يبيّن المسألة ويجلّيها .

ب- **الاقتصار على المسائل المهمة** ، وهي تلك التي ينبني على رسمها ثمرة فقهية ، دون ما أقحمه الأصوليون في ثنايا مباحثهم من مسائل نحوية وكلامية نظرية عقيمة ، ولعل هذا الذي استفاده منه تلميذه أبو إسحاق الشاطبي فدعا في مقدمات الموافقات إلى تخليص مسائل الأصول من المباحث التي لا ينبني عليها عمل .

---

[37]- من الباحثين من يسلك كتاب المفتاح في كتب التخريج ، يقول يعقوب الباحسين : " هذا الكتاب الأصولي مما أدخله كثير من الباحثين في إطار التخريج " [التخريج عند الفقهاء والأصوليين ، يعقوب الباحسن ص145]

، غير أن يعقوب الباحسين يرجح أن يكون كتاب أصوليا : " " والكتاب كما قدمنا شامل لكثير من موضوعات الأصول ، فهو ليس كتاب في التخريج على قواعد معينة ، وإنما هو كتاب أصولي موجز واضح العبارة شيّق في عرضه لموضوعاته ، ومما زاد عرضه تشويقا ووضوحا أنه كان يقرن تقرير المسائل الأصولية بالفروع الفقهية المختلف فيها بناء على الاختلاف في القواعد الأصولية " [التخريج عند الفقهاء والأصوليين ص 146]

[38]- ملتقى أهل الحديث https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=242537

ث- **الاقتصاد في الاستدلال للقواعد** ، فهو يذكر المسائل الخلافية الأصولية من غير استقصاء ، مؤثرا سهولة العبارة ووضوحها في أسلوب تعليمي متميز.

ج- **التحرر في التعاريف عن المناقشات المنطقية** : فهو يعرض التعاريف الأصولية واضحة ميسرة مبرّأة ن تلك المناقشات المنطقية والاعتراضات العقيمة التي أصبحت كتب الفن بها طافحة .

ح- **الإبداع في الترتيب** ، قد أحسن أبا عبد الله الشريف التلمساني ترتيب كتابه ، ووفق إلى تصميم مباحثه حتى لكأنه يضع قارأه أمام مخطط يلخص مسائل الأصول ، وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على تمكن المصنف من هذا الفن وإحكامه له وحسن فهمه واقتداره في المسائل العقلية ، وغلبة التدريس عليه مدة ليست باليسيرة .

9- **تأثير الكتاب في الحياة العلمية** : لا شك أن كتابا في مقدار المفتاح كان له أثر على الحياة العلمية في عصر التلمساني وما بعده ، ومن علامات ذلك التأثير[39]:

أ- انتشار الكتاب في البلاد الإسلامية شرقا وغربا ، تدل على ذلك المخطوطات الكثيرة التي عثر عليها الباحثون .

ب- العثور في بعض التراجم على مايدل على اعتناء العلماء بتدريس كتاب المفتاح . "وممن كان يقرئ هذا الكتاب محمد بن أحمد ابن مرزوق الحفيد (ت:842)، وكذلك كان يقرئه أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني (ت:847)، ودرَّسه في عهد قريب الشيخ عبد الحميد ابن باديس ت:1359) وقد وضع عليه شرحا مختصرا"

[39]- - ملتقى أهل الحديث https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=242537

خاتمة :

هذا الذي جاد به القلم وأسعف به الوقت ، من محاولة الوقوف على سر التأثير الذي أحدثه الشريف التلمساني في البيئة الفقهية والأصولية ، عسى أن يسهم هذا العمل في كشف الستار عن جهود علمائنا ، في وقت أصيبت أعين كثير من باحثينا بانبهار تجاه إنتاج المشرق ، وفي ذلك ظلم وغمط لأصحاب الحق يأباه التاريخ وترده الحقائق .

وتخلص هذه الدراسة إلى النتائج الآتية :

1. حبا الله الشريف التلمساني بمواهب ميزته عن غيره من علماء عصره .
2. تمكن الشريف التلمساني من العلوم العقلية أهّله ليؤثر في الدرس الفقهي والأصولي تطويرا وتأليفا .
3. انشغل الشريف التلساني بالإقراء والتدريس عن التأليف ، فجاءت تآليفه على نفاستها نادرة .
4. بلغ الشريف التلمساني رتية الاجتهاد بشهادة شيوخ عصره .
5. **وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .**

قائمة المصادر والمراجع :

1- - نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي ، ت: عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار الكاتب ، طرابلس ، ط: 2 ، 2000م

2- "بيوتات العلم بتلمسان من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجري" ، نصر الدين بن داود ، ، جامعة أبو بكر بلقايد -تلمسان ، 2009-210

3- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، الشيخ يحي بن أبي بكر بن خلدون ، مطبعة بييرفونطانا الشرفية في الجزائر، 1903 م

4- تخريج الفروع على الأصول دراسة تاريخية ومنهجية وتطبيقية ، عثمان بن محمد الأخضر شوشان ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ، ط:1 1998م

5- التعريف بان خلدون رحلته غربا وشرقا ، عبد الرحمان بن خلدون ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، 1979م

6- دراسة تحليلية مفصلة لتخريج الفروع على الأصول عند الأصوليين والفقها ، جبريل بن المهدي علي ميغا ،جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1422هـ .

7- ملتقى أهل الحديث https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=242537

8- التخريج عند الفقهاء والأصوليين- دراسة نظرية تطبيقية تأصيلية ، يعقوب الباحسين ، مكتبة الرشد الرياض .

مقدمة كتاب الاعتصام ، الإمام الشاطبي ، ت: أحمد عبد الشافي ، دار شريفة ،